

مراجعة نقدية لكتاب الاستيطان الصهيوني في القدس 1967-1993م

تأليف محمد رشيد عناب

مراجعة الدكتور محمد الحزموي

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام 2001 عن بيت المقدس للنشر والتوزيع في فلسطين، ويقع في 244 صفحة من القطع المتوسط تتوزع على الإهداء والشكر وفهرس المحتويات ومقدمة الدراسة وخمسة فصول وخاتمة وقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدا عليها الباحث، بالإضافة إلى تسعة ملاحق. والكتاب بالأصل هو أطروحة نال عليها المؤلف درجة الماجستير بالتاريخ من جامعة النجاح الوطنية بنابلس عام 2001

ليس ثمة من شك أن الحركة الصهيونية هي فكرة استعمارية استيطانية عدوانية ظهرت في أوروبا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتبلورت في حركة سياسية منظمة سعت إلى إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، واستندت في ذلك على ادعاءات وحبج لا صحة لها، أهمها العاملان الديني والتاريخي، فاستناداً إلى نصوص التوراة تعتقد الحركة الصهيونية أن الرب قطع لإبراهيم ونسله من بعده وعداً وميثاقاً بأرض الميعاد، كما استندت أيضاً بحقها في فلسطين إلى الحق التاريخي القائم على قيام مملكة داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد، واتخذت هذه المملكة مدينة القدس عاصمة لها، ثم قيام مملكتين إسرائيليتين في فلسطين خلال القرن التاسع قبل الميلاد. غير أن هذه الممالك لم تعمّر فترة طويلة، بل كانت فترة عابره من فترات تاريخ فلسطين الطويل الذي بقي فيه العرب سادة البلاد.

وكان من أهم العوامل التي ساهمت في ظهور الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر، التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية، فالاستعمار الأوروبي فكراً ومنهجاً وممارسة، يعد الأصل في ولادة الصهيونية واستمرارها، إذا لا صهيونية من دون استعمار أوروبي، ولا نجاح للاستعمار الصهيوني إلّم يكن استعماراً استيطانياً، ولذلك فلم يكن التوجه الاستعماري في انطلاقة الحركة الصهيونية مجرد حلف مرحلي، بل حلفاً استراتيجياً ومبدأً ثابتاً من ثوابت الصهيونية (1).

ولذلك فقد وجدت الحركة الصهيونية في التنافس الاستعماري بين الدول الأوروبية ، سنداً وقوةً لتحقيق أهدافها وأطماعها في استيطان فلسطين ، وتمكنت بريطانيا من استغلال الصهيونية كأداة تعتمد عليها في تحقيق أطماعها الاستعمارية في الشرق العربي ، ولاسيما في فلسطين التي تتمتع بموقع جغرافي هام، وتوجت هذه السياسة بإصدار وعد بلفور عام 1917 الذي نص على إقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين.

وبعد احتلال الكيان الصهيوني للجزء الشرقي من مدينة القدس عام 1967 أخذ يمارس سياسة ترمي إلى تهويد المدينة عبر إجراءات وممارسات غير قانونية . وكان من أهم هذه الإجراءات ، سياسة الاستيطان ومصادرة الأراضي العربية ، وذلك بهدف تغيير الطابع العربي للمدينة وما حولها ، ليحل مكانه طابع يهودي ، في ظل القبول بسياسة الأمر الواقع الذي يفرض طابعاً عمرانياً وثقافياً وسكانياً يهودياً في المدينة حتى يكون الحل الحتمي لصالح اليهود(2).

ومن هنا فقد حاول الباحث في الفصل الأول (23-62) من هذه الدراسة مناقشة الحقوق الدينية والتاريخية التي تستند إليها الحركة الصهيونية بحقها بفلسطين . وذلك من خلال إبراز أهمية الاستيطان ومكانة مدينة القدس في الفكر الصهيوني ، وقد أجاد الباحث في هذا الفصل تفنيده لتلك الادعاءات والحجج ، استناداً إلى الحفريات والتنقيبات الأثرية التي أثبتت بشكل لا يقبل التأويل ، أن الكنعانيين هم من أصول عربية كانوا قد استقروا في فلسطين من الألف الرابع قبل الميلاد وبداية الألف الثالث قبل الميلاد، وبالتالي فإن الوجود العربي بفلسطين سبق الوجود اليهودي فيها بنحو ألفي سنة.

1. بيان نويهض الحوت ، فلسطين : القضية - الشعب - الحضارة. التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (1917)، بيروت دار الاستقلال للنشر، 1991، ص281-282.

2. عبد الفتاح أبو عليه ، القدس دراسة تاريخية قول المسجد الأقصى والقدس الـ شريف، الرياض : دار المريخ 2000 ، ص 159.

وعرض الباحث لجهود ونشاط عدد من رواد الحركة الصهيونية خلال القرن التاسع عشر، وما تبلور عن هذه الجهود من ظهور عدد من الجمعيات اليهودية التي لعبت دوراً مميزاً في الفكر الاستيطاني الصهيوني، واختتم الفصل بتتبع مراحل الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس منذ مطلع القرن التاسع عشر وحتى عام 1967.

وبحث في الفصل الثاني (63-88) الإجراءات التي قامت بها سلطات الاحتلال الإسرائيلي في مدينة القدس بعد احتلال الجزء الشرقي منها عام 1967 ، موضحاً كيف استغلت قوانين الأراضي الصادرة إبان الانتداب البريطاني على فلسطين ، كذريعة لمصادرة المزيد من الأراضي العربية ثم بين قوانين الأراضي الجديدة التي أصدرتها سلطات الاحتلال بعد عام 1967 بهدف السيطرة على مساحات واسعة من الأراضي في مدينة القدس وحولها.

وفي الفصل الثالث (89-128) ، تحدث عن دور الحركات والمؤسسات غير الحكومية في تعزيز الاستيطان الصهيوني في القدس، وأورد أسماء المستوطنات اليهودية التي أقيمت حول مدينة القدس مبيناً مساحة الأراضي التي أقيمت عليها المستوطنة والسنة التي صودرت فيها الأرض وعدد الوحدات السكنية فيها وقد امتاز هذا الفصل عن غيره من فصول الدراسة بجودة المصادر التي اعتمدها الباحث ، إذ استسقى معلوماته من مصادرها الأولية وباللغة العبرية لاسيما الخطط الهيكلية التي قامت بإعدادها شركات شراء الأراضي ووزارة البناء في الدراسات الحديثة. غير أن الباحث أهمل الإشارة إلى بعض الشركات الهامة التي لعبت دوراً هاماً في شراء الأراضي خاصة شركات همونوتا وجبو للاستثمارات وكوخاف هشومرون (كوكب السامرة) ، كما لم يشر الباحث إلى الصندوق القومي اليهودي الذي يعد الذراع الرئيسي للمنظمة الصهيونية العالمية في مجال شراء الأراضي والاستيطان.

وبين في الفصل الرابع (129-158) الآثار والنتائج الديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي ترتبت على الاستيطان الصهيوني للقدس، فقد لجأت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ بداية احتلالها لمدينة القدس ، إلى العديد من الإجراءات الرامية إلى تضيق الخناق على السكان العرب لإجبارهم على الخروج من المدينة، وبالتالي تحقيق الهدف الصهيوني الرامي إلى تغيير البنية الديمغرافية لصالح اليهود، كما انتهت سياسة تدميرية للاقتصاد الفلسطيني ليس في مدينة القدس فحسب بل في الضفة الغربية وقطاع غزة بشكل عام ، وذلك من خلال توسيع القاعدة الإنتاجية لإسرائيل عبر سيطرتها على الموارد الاقتصادية في البلاد وربط اقتصاديات المناطق الفلسطينية بالاقتصاد الإسرائيلي وفق منهج المركز والمحيط.

وبالرغم من أن الباحث حاول لإحاطة بهذا الموضوع من جوانبه كافة ، إلا أنه غفل الحديث عن الإجراءات الإسرائيلية تجاه المياه في المناطق المحتلة بما فيها القدس، فقد لجأت سلطات الاحتلال إلى تطبيق سياسة مائية تتمثل في السيطرة على مصادر المياه لاسيما في منطقة القدس بهدف استنزاف المياه العربية والحد من النشاط الزراعي ، فبعد حرب عام

1967م قامت سلطات الاحتلال بفك موتورات ومضخات محطات مياه أمانة القدس من مناطق وادي القلط وعين فاره وبرك سليمان ، وربطت عرب القدس بشبكة المياه الخاصة ببلدية القدس التابعة للاحتلال ، وهذا الإجراء يعد سلباً لامتلاكات سلطة محلية مدنية وهو مخالف لاتفاقيات جنيف (1)

أما الفصل الخامس والأخير في هذه الدراسة (159-192) فقد تناول فيه الباحث مقاومة عرب فلسطين للإجراءات الإسرائيلية الرامية إلى تهويد مدينة القدس، كما استعرض المواقف الدولية تجاه مسألة الاستيطان الصهيوني بمدينة القدس سواء مواقف الحكومات أو موقف هيئة الأمم المتحدة.

غير أن الباحث لم يشر في هذا السياق إلى المشاريع والحلول الدولية لوضع القدس سواء أكانت أمريكية أو سوفيتية أو عربية . أما بشأن موقف دول أوروبا الغربية فلا بد من الإشارة إلى أن هذه الدول في مجملها كانت تسير في فلك الولايات المتحدة الأمريكية ، وهذا يعني أن مواقفها تجاه القضية الفلسطينية بشكل عام لم تكن لصالح العرب ، فبالرغم من استنكارها وإدانتها للإجراءات الإسرائيلية بمدينة القدس ، إلا أنها لم تكن جادة في إجبار إسرائيل على تطبيق الشرعية الدولية وقرارات الأمم المتحدة ، لاسيما فرنسا وبريطانيا باعتبارهما دولتين دائمتي العضوية في مجلس الأمن الدولي . ويرى الباحث أن مسألة الاستيطان الصهيوني بمدينة القدس لم تلق اهتماماً عربياً وإسلامياً مميزاً وإنما جاء ضمن الموقف العربي والإسلامي تجاه القضية الفلسطينية بشكل دائم.

لقد أشار الباحث إلى أن فترة الدراسة تمتد بين مفصلين هاميين في تاريخ الصراع العربي - الإسرائيلي (حرب حزيران 1967 واتفاقية اوسلو 1993) ، ولا شك أن هذين المفصلين من أهم المفاصل الزمنية في تاريخ القضية الفلسطينية خلال النصف الثاني من القرن العشرين غير أن الفترة الزمنية بينهما طويلة وأحد ثلها شائكة ومعقدة فهناك مفاصل أخرى هامة ، منها عام 1978 الذي أبرمت فيه اتفاقية كامب ديفيد، وعام 1982 الذي وقعت فيه حرب بيروت ، وعام 1987 الذي بدأت فيه الانتفاضة الفلسطينية في الأراضي المحتلة ، وهي تصلح لأن تكون حداً زمنياً لدراسة أي موضوع يخص القضية الفلسطينية ، خاصة لدراسة مسألة

¹ روجي الخطيب تهويد القدس ، الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني، الدراسات الخاصة ، ستة مجلدات بيروت ، 1990م ، ص 6، 899

الاستيطان كلما كانت الفترة الزمنية للدراسة قصيرة تكون ال نتائج أفضل ويكون جهد الباحث مركزاً بشكل أكثر.

لقد اعتمد الباحث على عدد كبير من المصادر الأولية والأصلية ، فضلاً عن اعتماده على المراجع الحديثة ، المدونة باللغتين العربية والإنجليزية ، الذي يحسب للباحث في هذا المجال أنه اعتمد على وثائق ومخططات باللغة العبرية لاسيما الخطط الهيكلية التي لم يسبقه إليها أي باحث آخر في مجال الاستيطان الصهيوني . وبالرغم من ذلك فقد غاب عن هذه المصادر والمراجع، مصادر أخرى قيمة لو عاد إليها الباحث لأفاد منها كثيراً وهي :

1. محاضر جلسات الكنيست الإسرائيلي.
 2. الأرشيف الصهيوني.
 3. أرشيف دولة إسرائيل.
 4. صحيفتا الفجر والشعب المقدسيتان.
 5. تقريراً متتيا هو دروبلس رئيس دائرة الاستيطان في المنظمة الصهيونية ، الأول بعنوان " الخطة الرئيسية لتطوير الاستيطان في يهودا والسامرة " 1979-1983 و صدر عام 1978. أما التقرير الثاني فهو بعنوان الخطة الرئيسية وخطة التطوير للمستعمرات في يهودا والسامرة ، وقد صدر عام 1980 وكلاهما منشوران باللغة الإنجليزية.
 6. بالرغم من أن الباحث اعتمد على عدد من الصحف العبرية إلا أن استفادته منها كانت محدودة إذ لم يطلع إلا على أعداد قليلة.
- ومهما يكن من أمر ، فالدراسة كانت بشكل عام جيدة ، واتباع الباحث منهجاً علمياً سليماً ، كما امتاز بالأمانة العلمية ، واللغة الرصينة ، والقدرة على التحليل والنقد ، فضلاً عن النتائج الجيدة التي توصل إليها في دراسته.